نظرات حول الإرهاب والجهاد

✍ د. عبد الرافع حمد الأمين ★

المقدمة:

لقد اتخذ الغربيون من أحداث سبتمبر ٢٠٠١م ذريعة لنشر حقدهم وسمومهم ضد الإسلام والمسلمين، وروجوا مفاهيم غير صحيحة عنه، وأصبح الإسلام يقترن في أذهان الناس في الغرب بالإرهاب والتطرُّف والتعصُّب، ورفض حقوق الآخرين، ومعاداة الحضارة والتقدُّم .

وعلى الرغم من أنَّ العالم الإسلامي أدان تلك الأحداث لما فيها من قتل الأبرياء؛ إلاَّ أنَّ تلك الأحداث تركت آثاراً سلبية واضحة على صورة الإسلام في العالم لمجرد أنَّ مرتكبي تلك الأحداث ربما يكونون من المسلمين، لأنَّ العالم الغربي تجاهل هذه الإدانة الواضحة من قِبل العالم الإسلامي.

وقد نجحت بعض وسائل الدعاية الغربية في التركيز على ما بدر من بعض أبناء المسلمين من تصرُّفات في الفترة الأخيرة، وربطت هذه الوسائل الإعلامية بصورة أو بأخرى بين الإسلام والإرهاب، وتجاهلت الأسباب

(★) أستاذ مساعد، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة إفريقيا العالمية (الخرطوم – السُّودان).

الأساسية لهذه الأحداث[1].

وظهر كذلك أنَّه كلما تصاعد مدّ الصحوة الإسلامية زادت حدة الضربات الموجهة إلى الفكر الإسلامي، واشتدت الغارة على العالمين العربي والإسلامي لإضعاف صمودهما، والنيل من كرامتهما، وجعلهما مشدودين إلى أواصر التخلُّف والتبعية.

ومن أساليب الغارة على الفكر الإسلامي تسخير الثقافة الغربية لهدم عقيدة المسلمين والمساس بمقدساتهم، وثوابتهم، وأصولهم الحضارية لتهتز صورة الإسلام أمام الأجيال المسلمة الجديدة، وليفقد المسلمون موقعهم في مقدمة المتصدين لموجات الحقد والعداء ضد قيم الخير والعدل، والسلام، والمساواة بين البشر.

إنَّ الحرب الفكرية ضد ثقافة الإسلام وحضارته، وقيمه ليست بأقل ضراوة وشراسة من الحرب الاستعمارية التي ما زالت مستمرة إلى اليوم في أكثر من موقع على امتداد العالم العربي الإسلامي.

(١) حقيقة الإسلام في عالم متغير: سلسلة قضايا إسلامية، تصدر عن وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية، المقدمة، ص ٩.

مفهوم الإرهاب

الإرهاب لغة: الإخافة، يقال: أرهبه، بمعنى أخافه، وهو صفة لمن يسلك سبيل العنف لتحقيق أهداف سياسية[1].

وجاء في "لسان العرب": "الرهبة: الخوف والفزع، وأرهبه ورهبه، تعني أخافه وأفزعه"[2].

ويقول الدكتور/ أحمد جلال مساعد وزير الداخلية في مصر: "يمثل الإرهاب في تعريفه مشكلة قانونية وسياسية بالغة التعقيد، وذلك لاختلاف وجهات النظر حول الفعل الواحد، فقد يعده البعض إرهاباً، بينما يراه البعض الآخر عملاً نضالياً، وقد أخفق المجتمع الدولي في الوصول إلى تعريف الإرهاب، ومن يتابع مداولات الجمعية العامة للأمم المتحدة في اللجنة السادسة القانونية منذ ١٩٧٣م وحتى الآن يتبين بوضوح مدى اختلاف وجهات نظر الدول نحو الإرهاب، كما يتبين النظرة المصلحية الخالية من المبادئ والقيم والأخلاق"[3].

لذا يرى كثير من الكُتَّاب استبدال كلمة "الإرهاب" بكلمة "الظلم"، لأنَّ الإرهاب في رأيهم متعدد الأوجه والمفاهيم، ليس له معنى محدد أو تعريف

(١) المعجم الوسيط، دار الفكر، ٣٧٦/١.

(٢) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، ١٧٤٨/٣.

(٣) جمعة أمين: قضية الإرهاب، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٣٨.

جامع. أمَّا الظلم فمفهومه واضح لا لبس فيه ولا غموض، كما أنَّ الإرهاب يختلف في نظرهم من زمن إلى زمن، ومن مجتمع إلى مجتمع، فما يعد تطرُّفاً في زمن قد لا يكون تطرُّفاً في زمن آخر.

أمَّا القرآن الكريم فقد تكلَّم عن الإرهاب في ثلاث آيات:

الأولى: قوله تعالى ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾[1].

وتعني الرهبة هنا الخوف من الله. وهي رهبة مشروعة ومحمودة، وعني أنَّ من يخشون الله ويرهبونه ويخافون عذابه عليهم أنْ يهتدوا ويتراحموا، لذلك كان هدف هذه الرهبة هو الرحمة. وقد جاءت الرهبة بلفظ الفعل المضارع في الآية السابقة.

أمَّا في الآية الثانية فقد جاءت الرهبة بلفظ فعل الأمر ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾[2]، فالرهبة هنا تعني الخوف من عذاب الله. وقد خاطب الله بهذه الآية

(١) سورة الاعراف ١٥٤

(٢) سورة البقرة الآية (٤٠)

بني إسرائيل ليخافوه، ويرهبوا عذابه، ولا ينقضوا عهده، لذلك كان هدف الرهبة هنا الحث على الوفاء، والبعد عن الغدر والخيانة.

أمَّا الآية الأخيرة فهي قول الله تعالى ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[1]. فهي تتحدث عن الإرهاب أو الرهبة في مجال إعداد القوة لمواجهة عدو واضح أعلن الحرب بعد أنْ أعدَّ أسباب القوة والعتاد، فكان من المناسب أنْ يتهيأ المسلمون عسكرياً لتلك المواجهة المشروعة[2].

ويبدو من حديث القرآن عن الإرهاب أنَّ المقصود بالإرهاب التخويف بالأذى، وليس إيقاع الأذى نفسه. وتأكيداً لهذا المعنى فقد نهى الإسلام عن إرهاب الآمنين حتى لو كان ذلك عن طريق التلويح بالسلاح دون استعماله. فقد روى أبو هريرة عن الرسول ﷺ أنَّه قال: (لا يشير أحدكم إلى أخيه

(١) سورة الانفال الآية (٦٠)

(٢) د. عبدالله مبروك النجار : كتاب حقيقة الإسلام في عالم متغير ، مقال بعنوان " تحديد المفاهيم في مجال البشرى ، القاهرة ٢٠٠٢م ص ١٨٨ – ١٨٩

بالسلاح، فإنَّه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع فيه فيقع في حفرة من النار)[1].

كما ثبت أنَّ الرسول ﷺ أخبر أنَّ من أشار إلى أخيه، ولو بحديدة، فإنَّه ملعون من الملائكة حتى يترك ذلك الفعل. فقد روى أبو هريرة قال: قال رسول ﷺ : (من أشار إلى أخيه بحديدة فإنَّ الملائكة تلعنه حتى يدعه وإنْ كان أخاه لأبيه وأمه)[2].

إنَّ قتال المسلمين لأعداء الله بقصد إرهابهم هو قتال في سبيل الله لكل من يصدون عن سبيل الله إخافة لهم من التعدي على المسلمين[3].

أنواع الإرهاب

هناك الإرهاب غير المشروع كالإرهاب الذي تمارسه إسرائيل في فلسطين، وكالإرهاب الذي تقوم به المنظمات الإرهابية مثل: النازية والفاشية، وكالإرهاب الدولي المصحوب بالاغتيالات، والمجازر البشرية كمجزرتيْ صبرا وشاتيلا في

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، برقم ٢٦١٧.
(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، برقم ٢٦١٥.
(٣) جمعة أمين: قضية الإرهاب، مصدر سابق، ص ٤١.

لبنان، وأحداث اجتياح العراق الكويت، وغير ذلك[1].

وهناك الإرهاب المشروع للدفاع عن النفس بقصد تخويف الأعداء، وقد عبَّر القرآن عن ذلك في الآية السابقة .

لقد اتخذت القوى الغربية شعار: "الإرهاب الإسلامي" لمحاربة الإسلام بحسبانه منهجاً جديداً يعالج مشاكل الحياة والبشر، وهذه الحرب قائمة لكنها غير معلنة، إذ كيف نجد صلة بين الإرهاب، والمساجد، والمدارس، وكتاتيب تحفيظ القرآن؟

إنَّ حكومات القوى العالمية تمنع بناء المساجد وترميمها، وتمنع التعليم في المدارس الدينية، وتمنع المتخرجين من الجامعات الإسلامية من الوظائف الحكومية، وتمنع الحجاب، وإعفاء اللحية، وتكوين أحزاب إسلامية، كما حدث في الهند والجزائر، وغيرهما من الأماكن[2].

إنَّ الغربيين على الرغم من أنَّهم يتباهون بحضارتهم، ويدّعون أنَّهم رسل سلام؛ إلاَّ أنَّ الواقع يخالف ذلك، فهم يعتدون صباح مساء على المسلمين في بقاع الدنيا، ويصدون عن سبيل الله، ويبغونها عوجاً، ويرمون المجاهدين في سبيل

(١) د. يوسف إبراهيم السلوم: الإرهاب وأسبابه ومكافحته، مقال بمجلة "الأمن والحياة"، العدد ٢٣٠، ٢٠٠١م، ص ٤٤.

(٢) واضح رشيد الحسني الندوي: مقال بعنوان: "العلميات الإرهابية لمنع تقدُّم الإسلام"، مجلة البعث الإسلامي، العدد ١٠، ٢٠٠١م، ص ٩٤.

الحق بكل الرذائل، فإذا ما جاهد المسلمون في فلسطين وغيرها دفاعاً عن الدين والعرض والأرض سمُّوا ذلك إرهاباً، وإذا انتهكت إسرائيل العرض واغتصبت الأرض سمُّوا ذلك أمن إسرائيل[1].

إنَّ الولايات المتحدة الأمريكية قد جهزت قوتها البرية، والبحرية، والجوية، واستنفرت الدول للقضاء على البقية الباقية من قوة العراق. وتاريخ أمريكا حافل باستخدام القوة العسكرية للتدخل في شئون الأمم الأخرى، وتدبير المؤامرات للإطاحة بالحكومات القائمة سواء أكانت مدنية أم عسكرية[2].

ولم تنتظر أمريكا بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م ما يكشف عن التحقيق؛ بل بادرت بتوجيه الاتهام إلى المسلمين، وقامت بالتعاون مع حلفائها بشن الحرب على أفغانستان، وخرَّبتها بصورة عشوائية دون تمييز بين العسكريين والمدنيين، وأخذت تتعقب كل من شكَّت في صلتهم بالحادث من المسلمين في أي بلد وأي مكان سواء بالاعتقال أم بمصادرة الأموال أم بتجميدها، ووصفت وسائل الإعلام الغربي بعض الدول الإسلامية بأنَّها محور الشر، وألزمت بعض المسلمين بتغيير برامج الدراسة في مدارسها وجامعاتها، وشنت وسائل الإعلام الغربية حرباً ضروساً على مناهج التعليم في بلاد المسلمين متهمة إياها بأنَّها

(١) جمعة أمين: قضية الإرهاب، مصدر سابق، ص ٨٣.

(٢) د. حامد عبد الماجد: مقال بعنوان: "السياسة الخارجية الأمريكية والحملة ضد الإسلام"، مجلة البيان، العدد ١٤٤، ١٩٩٩م، ص ٨٤-٨٥.

المسئول الأول عن ظاهرة الإرهاب[1].

وتركزت هذه الهجمة الشرسة في جبهتين:

الجبهة الأولى: المدارس والمعاهد الشرعية، وقد جاء على رأس القائمة مدارس باكستان الإسلامية، وبناء على ذلك قدمت الحكومة الأمريكية مساعدة مالية ضخمة لباكستان لبناء بنك معلومات عن طلاب المدارس القرآنية، يهدف إلى جمع المعلومات الأساسية عن كل طالب ومدرس في هذه المدارس، مع استحداث برامج دراسية جديدة، وإضافة دورات تدريبية للمدرسين لمتابعة البرامج الجديدة.

الجبهة الثانية: متعلقة بالمقررات الشرعية، إذ يرى الغربيون أنَّ ما يدرسه الطلاب من العلوم الشرعية هو فوق حاجتهم، كما يرون أنَّ محتوى هذه المناهج يغذي التطرُّف والإرهاب.

إنَّ الحملة على المناهج المدرسية ليست جديدة، فقد ارتبط الحديث عن ضرورة تغيير المناهج بالصراع العربي الإسرائيلي، فقد كان اليهود يطالبون في جميع مشروعات السلام المشتركة بينهم وبين الفلسطينيين بمراجعة المناهج، وإزالة كل ما من شأنه أنْ يجعلهم مكروهين في نظر المسلمين والعرب، أو من شأنه تعكير جو السلام والمصالحة. فمن ذلك أنَّهم يرون أنَّ للقرآن دوراً في

(١) د. حسين صوفي أبو طالب: الإسلام في عالم متغير، مقال بعنوان: "الكفاح المشروع للشعوب"، مرجع سابق، ص ٣٦.

عرقلة التطبيع مع إسرائيل، وفي عدم الإسراع بالسلام مع الفلسطينيين. إنَّ كل هذا التعسُّف من قِبل الغربيين سببه الخلط عن عمد أو جهل بين الإرهاب وبين الكفاح المشروع الذي هو الجهاد[1].

لقد تملكت أمريكا رغبة جامحة في فرض نظمها على العالم الإسلامي بعد أنْ دانت لها السيطرة الكاملة على كل العالم في ظل العولمة، فهي في حربها ضد أفغانستان لم تتجنب قصف الأبرياء، فقد دفنت تحت الأنقاض أطفالاً، وغطت سماء أفغانستان بالطائرات، وبارزت جنود "طالبان" كأنَّهم أندادها، مع أنَّ الفرق في التسلُّح غير متكافئ بينها وبين جنود طالبان، وكان بإمكان أمريكا أنْ تحقق أهدافها بوسائل أخرى غير وسائل القتل والتدمير[2].

ولا شك أنَّ من حق الولايات المتحدة تعقُّب الجناة ومعاقبتهم، لكن بعد التأكُّد من ارتكابهم الجريمة، لكن أمريكا لم تتردد ـ فور وقوع تلك الأحداث ـ من وضع الإسلام في قفص الاتهام، ولم تخف إعلانها الحروب الصليبية عليه، ثم بدا لها أنْ تعتذر عن هذا الإعلان تفادياً لإحراج حكومات الدول الإسلامية التي تريد أمريكا مشاركتها في حملتها ضد الإرهاب، وحكمت على كل من ليس معها في مكافحة الإرهاب بأنَّه يقف ضدها[3].

---

(١) د. حسين صوفي: حقيقة الإسلام في عالم متغير، مرجع سابق، ص ٣٨.

(٢) محمد عدنان سالم: أمريكا والإرهاب، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٠.

(٣) محمد عدنان سالم: أمريكا والإرهاب، مرجع سابق، ص ١٦.

إنَّ الغرب ما زال يبني علاقاته مع المسلمين على أساس الحروب الصليبية التي أثارها من جديد الرئيس الأمريكي الحالي "بوش" على إثر أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، فإنَّ ما نطق به في هذا الصدد ليس زلة لسان ،كما يراه البعض، وقد عبَّر عن هذا المعنى من قبل "أيوجين روستو" عندما كان مساعداً لوزير الخارجية الأمريكية عام ١٩٦٧م، ومستشار الرئيس جونسون، الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية، فقد قال في هذا المعنى: "يجب أنْ ندرك أنَّ الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب الإسلامية والعربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية"[(١)].

وقال "راندولف تشرشل" عام ١٩٦٧م بعد سقوط القدس: "لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، إنَّ سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود، إنَّ القدس قد خرجت من أيدي المسلمين ولن تعود إليهم في أي مفاوضات مقبلة بين المسلمين واليهود"[(٢)].

وقد استحدث من تجربة الولايات المتحدة في الجانب السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي ما سُمِّيَ بـ "الرسالة الأمريكية"، وحكم على كل من يعترض على هذه الرسالة بأنَّه جاهل وضال، وعلى أنَّه يجب نشر الفضائل الأمريكية عن طريق السلاح.

(١) جلال العالم: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، بدون طبع ودار النشر، ص ٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦.

ويقول "مور جنتاو" أحد المبشرين: "لكوننا مبشرين برسالة التجربة الأمريكية؛ سنفرض هذه التجربة على بقية العالم بالنار والسيف متى كان ذلك ضرورياً، وعلى الأمم الأخرى أنْ تخضع لهذه التجربة ولو كرهاً".

ويعلن أحد قادة أمريكا الأوائل من العسكريين أنَّ الكتاب المقدس لم يرد فيه ما يفهم منه أنَّ الحرب ممنوعة، بل يؤكِّد الكتاب المقدس في رأيه أنَّ حروب الفتح مأمور بها، وأنَّ المسيح وحوارييه لم يقولوا كلمة واحدة تنفي مشروعية الحروب التي كانت مشتعلة في زمنهم.

ويقول القائد معمر القذافي في موضوع تسلُّط أمريكا والغرب: "إنَّ أخطر شيء في هذا المقام أنْ تكون وزارة الخارجية الأمريكية في أغلب الأحيان من نصيب الصهاينة، بدءً بـ "كسنجر" ومروراً بـ "شولتر"، وغيرهما. إنَّ هذا السلوك يجعل أمريكا خصماً للأُمَّة العربية والإسلامية نيابة عن الإسرائيليين"[1].

إنَّ في أمريكا الآن منظمات إرهاب تحترف التقتيل، والتخويف، والإرهاب، مثل الأنظمة الإرهابية العنصرية التي تقوم بعمليات قتل وحرق ضد الأمريكيين من ذوي الأصول الإفريقية، ويطلق على هذه المنظمة الإرهابية "الكوكلكس كلان"، وهناك منظمات المافيا المشهورة، ذات الأصل الأوروبي، التي تمارس

(١) انظر: معمر القذافي: العالم يتعرض لغزو جديد، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ص ١٩.

نشاطها في السطو على البنوك، ونهب الأموال التي يودعها أصحابها من أجل الاستثمار[1].

إنَّ خطر هذا الأمر هو تحالف الصليبية مع الصهيونية ضد الإسلام، فما نراه في فلسطين الآن هو تحالف صهيوني صليبي، فقد اتهمت إسرائيل المقاومة الفلسطينية والسلطة الفلسطينية بالإرهاب، وارتكبت إسرائيل بجيوشها أعمالاً وحشية من قتل، واعتقال، وهدم للمدن والقرى، بصورة لم تحدث من قبل في التاريخ، وكل ذلك تحت سمع العالم وبصره، فهي حرب إبادة عنصرية تحت ستار: دفاع إسرائيل عن نفسها، وهي حرب شبيهة بما حل بالمسلمين في البوسنة والهرسك، وكوسوفو، والعراق من قبل[2].

لقد وقع على المسلمين ظلم شديد، واضطهاد فظيع من قبل الصرب بقيادة "سلو بودان ميلوفيتش" الذي قتلهم شر تقتيل، ولم يستثن أحداً حتى العجزة والمسنين، ودفن بعضهم أحياء في مقابر جماعية، وأحرق آخرين في بيوتهم، وشرَّد بعضاً آخر.

وقد كانت أحداث البوسنة شاهداً على عجز أوروبا وعدم قدرتها على فعل شيء، نظراً لتضارب مصالح أوروبا، فقد كانت فرنسا وبريطانيا تقفان مع

(١) د. عبد الله الشيخ سيد أحمد: الولايات المتحدة وسياسة احتواء الحركات الإسلامية، المركز القومي للإنتاج الإعلامي، ٢٠٠١م، ص ٢٦-٢٧.

(٢) حقيقة الإسلام في عالم متغير، مصدر سابق، ص ٣٧.

الصرب، وكانت الأمم المتحدة مشاركة في جريمة تصفية المسلمين، وذلك بمنع وصول السلاح إليهم، وقد تطورت الأحداث بصورة لا تناسب مصالح الغرب، لأنَّ قضية البوسنة أصبحت قضية إسلامية، إذ بدأت طلائع المجاهدين تواجه الصرب الذين بدأ الجانب العسكري في غير صالحهم في آخر مراحل الحرب، وكان تدخل أمريكا ضرورياً لمنع انهيار الصرب في البوسنة، وللحفاظ على التوازن، لذلك فرض اتفاق "دايتون" ليحفظ للصرب المناطق التي احتلوها، وكان نتيجة ذلك أنْ تحولت البوسنة إلى مركز للوجود الأمريكي، وكان عمل أمريكا يعتمد على إبعاد المجاهدين عن البوسنة، وإبعاد بعض القادة البوسنيين المسلمين بتهمة أنَّ لهم علاقة مع بعض الدول الإسلامية[1].

حق الشعوب في تقرير مصيرها

لقد استعمرت ديار المسلمين في أزمنة سابقة، وقد أدرك الغزاة أنَّ احتلال بلاد المسلمين لا يتم إلاَّ بالقوة والعنف، وذلك بعد أنْ علموا دور الجهاد الكبير في حياة المسلمين، لذلك حاولوا كسر شوكة الأُمَّة الإسلامية المجاهدة، والسيطرة عليها، وتحويلها من الإسلام.

(١) جمعة أمين: أمريكا والإرهاب، مصدر سابق، ص ٩٥.

وقد بدأ الغربيون تلك السيطرة بتحطيم الدولة العثمانية، وقد دام الصراع مع الدولة الإسلامية مدة ثلاثة قرون، وفي نهاية الأمر ضعفت، ثم توالى تراجع المسلمين أمام الاستعمار الغربي، فاحتلت الجزائر عام ١٨٣٠م، ومصر عام ١٨٨٢م، وباحتلال الجزائر قامت ثورة شعبية بقيادة المجاهد عبد القادر الجزائري، وتحرك المجاهدون في كل من المغرب، وليبيا، والسُّودان، ومصر، ثم تتابعت الثورات الشعبية والمقاومة في كل البلاد الإسلامية.

وكان رد القوى الاستعمارية في منتهى القسوة، فقد دمرت قرى وأحياء، وشتت عشرات الآلاف من السكان، وزج بأعداد كبيرة في السجون ومعسكرات الاعتقال، وخاصة قادة الجهاد، مثل: عبد القادر الجزائري، وعمر المختار، وعبد الكريم الخطابي، وعز الدين القسام، وعلماء الأزهر، وعلماء جامعة الزيتونة في تونس، وعلماء جامعة القرويين في المغرب، وقادة الثورة في البلاد الإسلامية كإيران وتركيا وغيرها من بلاد الإسلام[1].

ويجب ألا ينخدع الناس اليوم بما يتظاهر به الغربيون من علامات التمدُّن، والتحضُّر، والكلام المنمق عن ما يسمى بـ "حقوق الإنسان" أو "حق الشعوب في تقرير مصيرها" أو عن التعاون المتبادل، والمساواة، واحترام سيادة الآخرين، فالاستعمار لم يرحل عن بلاد المسلمين إلاَّ بعد أنْ ضمن إقامة دولة

(١) منير شفيق: الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، دار البرق للنشر، بيروت، ط/١، ١٩٩١م، ص ٧٢.

إسرائيل كقاعدة عسكرية غربية أوكل إليها ممارسة العنف لحساب إسرائيل والغرب معاً. وفي السنوات العشرين الأخيرة تصدرت الجيوش الإسرائيلية خط النار الأول بينما وقفت الإمبربالية في خط النار الثاني[1].

(١) منير شفيق: الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، مرجع سابق، ص ١٢١.

مواثيق الأمم المتحدة

لقد صدر ميثاق الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية بـالاعتراف بمبـدأ تقرير المصير، لكنه لم يبيِّن كيفية تطبيق هذا الاعتراف. وانبعثـت قـرارات مـن الجمعية العامـة للأمـم المتحـدة سـنة ١٩٦٦م، تؤيِّـد حـق الشـعوب المغلوبـة في استخدام القوة في كفاحها للحصول على استقلالها، وتتابعت قرارات الجمعيـة العامة التي نصت على معاملة المناضلين المعتقلين معاملة أسرى الحـرب حسـب اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩م، كما أقرت الجمعية العامـة شـرعية كفـاح الشـعوب المستعمرة لتحقيق حريتها بجميع الوسائل الممكنة والمناسبة، كما أصدرت قـراراً في ديسمبر ١٩٧٣م يؤكِّد أنَّ كفـاح الشـعوب المسـتعمرة لتقريـر مصـيرها كفـاح مشروع، وأنَّ كل محاولـة لقمـع هـذا الكفـاح تُعَـدُّ تهديـداً للسـلم والأمـن الـدوليْن، كمـا أصـدرت الجمعيـة العامـة سـنة ١٩٧٤م قـراراً خاصـاً بتعريـف العدوان[1].

وفي عام ١٩٧٢م أصدرت الجمعية العامة قراراً بإنشاء لجنة خاصة بالإرهـاب الدولي، وفي عام ١٩٧٩م أصدرت قراراً يدعو إلى اتخاذ تدابير عملية للتعاون من أجل القضاء السريع على مشكلة الإرهاب الدولي وإدانة أعمـال القمـع الـتي

(١) د. صوفي حسن أبو طالب: حقيقة الإسلام في عالم متغير، مصدر سابق، ص ٦٦-٧٦.

ترتكبها النظم الاستبدادية والعنصرية التي تسلب الشعوب حقها المشروع في تقرير مصيرها واستقلالها. كما عدَّ مؤتمر جنيف الدبلوماسي الذي عقد عام ١٩٧٧م النزاعات المسلحة لتقرير المصير نزاعات مشروعة[١].

ويتبيَّن من كل القرارات السابقة أنَّ كفاح المقاومة الفلسطينية للحصول على تقرير مصيرها كفاح مشروع، ولكن تغير الأمر بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠م، وأصبحت أعمال الانتفاضة توصف بالإرهاب، وتحولت أمريكا من دور الوسيط المتعاطف مع إسرائيل إلى دور الانحياز التام لها[٢].

كما أنَّ منظمة الأمم المتحدة خضعت كثيراً لمواقف الدول العظمى عموماً، ولمواقف أمريكا والاتحاد السوفيتي "سابقاً" بصفة خاصة. وبعد سقوط المعسكر الشرقي أصبحت هذه المنظمة خاضعة للسياسة الأمريكية الإسرائيلية، ولذلك ليس من الغريب أنْ يصدر مجلس الأمن حتى سنة ١٩٩٢م (٦٩) قراراً ضد إسرائيل مع عدم تنفيذ أي قرار منها، وفي أزمة البوسنة والهرسك أعلنت (٦٣) قراراً دون تنفيذ أي قرار منها، وفي أزمة كشمير بين باكستان والهند صدر منها منذ سنة ١٩٤٧م وحتى الآن (١٣) قراراً لصالح كشمير ولكن لم ير النور منها أي قرار.

ويعتمد من يرفضون منح الشعوب المستعمرة حق الدفاع الشرعي على أنَّ

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٦٨.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

كفاح هذه الشعوب لا يميز بين العسكريين والمدنيين، ولكن يلاحظ أنَّ مدافع إسرائيل ودباباتها وإطلاق الرصاص العشوائي على الفلسطينيين لا يميِّز بين الأهداف العسكرية والمدنية، وإذا يرى هؤلاء أنَّ حق الدفاع الشرعي لشعب فلسطين عمل إرهابي فهل يُعَدُّ ما قام به زعماء المقاومة الشعبية من أمثال: ديجول في فرنسا، ونلسون مانديلا في جنوب إفريقيا، وابن بيلا في الجزائر؛ عملاً إرهابياً؟! وهل كان في استطاعة هذه الشعوب أنْ تحقق استقلالها من غير الثورات التي قام بها زعماء النضال في تلك البلاد؟ إذاً فلماذا ينكرون علي الشعب الفلسطيني هذا الحق؟![1].

لقد اختفت الآن من اللهجة الأمريكية والإسرائيلية كلمة "ثورة تحريرية" أو كلمة "حرب تحرير" أو "مقاومة شعبية من أجل الحرية، ووضعوا مكان هذه العبارات كلمة "الإرهاب".

وعندما يطلق الغرب كلمة "إرهاب"؛ فإنَّه يقصد به الجهاد، وحرب التحرير، والكفاح من أجل الحرية. لذلك يعارض الأمريكان والإسرائيليون كفاح تحرير فلسطين، كفاح التحرير الذي تقوم به الجماعات الإسلامية، لأنَّ هذا الكفاح يحرر الشعوب من قبضتهم[2].

ويبدو من تصريحات قادة الغرب أنَّهم يشنون الحرب على الإسلام،

(١) د. صوفي حسن أبو طالب: حقيقة الإسلام في عالم متغير، مصدر سابق، ص ٧٠.

(٢) انظر: معمر القذافي: العالم يتعرض لغزو جديد، مصدر سابق، ص ٢٠.

لعوامل منها:

[١] أنَّهم يرون الإسلام جداراً صلباً أمام أنواع الاستعمار. يقول "لورانس براون" في ذلك: "إنَّ الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي". ويقول أيضاً: "لقد تبيَّن لنا أنَّ اليهود هم أصدقاؤنا، والبلاشفة الشيوعيون حلفاؤنا، لكنَّا وجدنا أنَّ الخطر الحقيقي علينا هو الإسلام، ويتمثل هذا الخطر في قدرته على التوسُّع والإخضاع وفي جيوشه المدهشة"[(١)].

وقال "جلادستون" عندما كان رئيس وزراء بريطانيا عام ١٩٣٨م: "ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين؛ فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق".

وقال الحاكم الفرنسي في الجزائر قبل استقلالها في ذكرى مرور مائة عام على استعمارها: "لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرأون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أنْ نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم"[(٢)].

ومن أبرز الذين كتبوا مقالات حول وجود خطر الإسلام على شمال إفريقيا اليهودي "دانئيل بابيس" الذي اقترح ثلاث نصائح للساسة الأمريكيين لمقاومة

(١) انظر: د. مصطفى الخالدي ود. عمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط/٥، ١٩٧٣م، ص ١٨٤.

(٢) جلال العالم: قادة العالم يقولون: دمروا الإسلام، مصدر سابق، ص ٣٠.

ما يسميه "الخطر الجديد"، وهذه النصائح هي:

[١] مواجهة الأصوليين.

[٢] مساندة الحكومات التي تتصدى للأصولية في المنطقة، كحكومة الجزائر وتونس وغيرهما.

[٣] الضغط على إيران والسُّودان للتخفيف من سياستهما المتطرفة.

وقال "حاييم بارام" اليهودي في هذا الصدد عام ١٩٤٤م: "الإسلام هو العدو الذي نخشاه ونحترمه في آن واحد، وخطتنا الدعائية هي إظهار وحشية المسلمين"(١).

وعلى الرغم من أنَّ جاك شيراك الرئيس الفرنسي حذا حذو الغربيين في وصف الإسلام بالإرهاب، إلاَّ أنَّه وصف الجالية المسلمة في فرنسا بالوعي والمسئولية، فقد قال كلمة في هذا المعنى في نوفمبر سنة ١٩٨٦م: "إنَّ الإسلام هو الخصم، وإنَّ قاعدته هي إيران، وإنَّ الدول العربية التقليدية هي الدفاع الحقيقي عن الغرب ضد هذا العدو القاتل". ويرى أنَّه "من الضروري عدم الخلط بين الإرهاب والجالية المسلمة التي تتصرف بوعي ومسئولية"(٢).

ويتبيَّن لنا من أقوال بعض من ذكرناهم من الغربيين وغيرهم أنَّهم

(١) د. حامد عبد الماجد: مقال بمجلة البيان، العدد ١٤٤، مصدر سابق، ص ١١٧.

(٢) خالد محمد الأصور: الجاليات الإسلامية في أوروبا، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ص ١٢١ و١٦٦.

متفقون على وصف الإسلام والمسلمين بصفة الإرهاب، وأنَّه لا يوجد على وجه الأرض إرهابي غير المسلمين. ولكنا نلاحظ أنَّ قائمة الإرهاب لم تشمل إسرائيل بكل جبروتها، وعنفها، وعدوانها، وغزوها المستمر لجنوب لبنان، وللأرض الفلسطينية، كما لم تشمل الصرب الذين دمروا المساجد والمنازل، وهتكوا الأعراض، ودفنوا المسلمين أحياء، وهذا يعني أنَّ إسرائيل وأمريكا تكيلان بمكيالين في آنٍ واحد، وفي الموضوع الواحد، وأنَّ أي حرب تخوضها أمريكا هي حرب تحرير في نظرها[1].

إنَّ سياسة أمريكا حول مساندة إسرائيل لم تتغير، بل هي في ازدياد مطرد، كما أنَّ الحلف الأمريكي البريطاني الصهيوني قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، لم يكن ينطلق من استراتيجية هجومية، بل من استراتيجية دفاعية.

وبعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م فإنَّ الولايات المتحدة وقفت كثيراً عند: مَنْ الذي أحدث الحدث؟ ولم تقف عند: لماذا وقع الحدث؟

وهذا الموضوع يثير سؤالاً مهماً هو: هل هذه الأحداث سببها الإرهاب أو ازدواجية الموقف الأمريكي تجاه حقوق الإنسان أو رفض العولمة الأمريكية.

إنَّ من آثار أحداث سبتمبر على السياسة الأمريكية أنَّ هذه السياسة صارت تنظر إلى قضية المنطقة العربية وقضية الصراع العربي الإسرائيلي على

(١) د. حامد عبد المجد، مقالة بمجلة البيان، العدد ١٤٤، مصدر سابق، ص ١٢٠.

أنَّها ليست ذات أولوية في السياسة الأمريكية، بينما اهتمت بصورة أكثر بضرب الرئيس صدام حسين وبقضية العراق. كما لمعت فكرة (صراع الحضارات) بعد هذه الأحداث.

ويعني الإسلام عند الغربيين نهاية الحضارات الغربية، لأنَّه تحدٍ حضاري بالغ الخطورة. ويرى الكاتب البريطاني "فردهاليدي" في كتابه: "الإسلام وأسطورة المواجهة" أنَّ الاتجاه المعاكس للإسلام والمسلمين أخذ يتسع في العالم بسبب انتهاء الحرب الباردة، وانتشار فكرة صيرورة الإسلام عدواً للغرب بدل الشيوعية[1].

ويرى المفكر الأمريكي "فوكوياما" ذو الأصل الياباني أنَّ ثقافة أمريكا هي الأنموذج الذي يجب أنْ يحتذى، وأنَّها الأنموذج النهائي لرقي الإنسان، وأنَّها نهاية الثقافة والحضارة، وألَّف في هذا المعنى كتابه: "نهاية التاريخ وخاتم البشر"[2].

وقد رد على فوكاياما كاتب آخر من بلاده، هو "صموئيل هانتجتون" (Huntigton) رداً لاذعاً في كتابه: "صدام الحضارات" أثبت فيه أنَّ الحضارة الغربية حضارة رائعة وفريدة، لكنها ليست عالمية، ويرى أنَّ أي محاولة لفرضها على العالم ستقود إلى الصراع والحرب بين الثقافات، وأنَّ المستقبل سوف يشهد زوال الحضارة الغربية، وقيام تحالف بين حضارة الإسلام وحضارة الصين، وأنَّ

(١) د. عبد القادر طاش: كيفية تحسين صورة الإسلام في الغرب، ص ١٠٥.

(٢) د. زكريا بشير إمام: في مواجهة العولمة، مركز قاسم للمعلومات، الخرطوم، ط/١، ٢٠٠٠م، ص ١٥٩.

الإسلام سوف يقوى على حساب الغرب إذا امتلك الحداثة والثقافة، ولم يتغرب!.

ويرى "هانتجتون" إنَّ الدين من أهم العوامل التي تميز بين الحضارات، وأنَّه عامل مهم في صراع المستقبل، وأنَّ القرارات التي تصدر عن مجلس الأمن وعن صندوق النقد الدولي تعكس مصالح الغرب، ولكن هذه القرارات عندما تخرج إلى العالم تبدو كأنها تعبِّر عن رغبات المجتمع الدولي، وأنَّ الهدف الأساس من عملية التحكُّم في التسلُّح بعد الحرب الباردة هو منع الدول غير الغربية من تطوير قدراتها العسكرية التي قد تهدد مصالح الغرب، وأنَّ المصدر الأساس للصراع في العالم الجديد لن يكون أيدلوجياً أو اقتصادياً، بل سيكون صراعاً حضارياً[1].

تعريف الجهاد

الجهاد لغة : مصدر جاهد يجاهد جهاداً ومجاهدة، إذا بالغ في قتل عدوه، وهو مأخوذ من الجَهد ـ بفتح الجيم ـ أي المشقة، ويقال: أجهد الرجل دابته إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها، وجهد الأمر والمرض، إذا بلغ منه المشقة، وقيل: هو

(١) المرجع السابق، ص ١٥٩.

مشتق من الجُهد ـ بضم الجيم، وهو الطاقة، والمبالغة واستفراغ ما في الوسع[1].

وفي اصطلاح الفقهاء: هو بذل الجهد والطاقة دفاعاً عن النفس والمال أو هو بذل المسلم جهده وطاقته لتكون كلمة الله هي العليا ويكون ذلك بنشر الإسلام ورد الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله.

ويتسم تعريف الجهاد السابق بأمريْن:

الأول: أنَّه شرع دفاعاً عن النفس، والمال، والعرض، فإذا قاتلنا الأعداء فيجب قتالهم. وهذا هو معنى قول الله تعالى ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾[2].

الثاني: أنَّ مفهوم الجهاد أوسع من مفهوم قتال الكفار، فهو يشمل جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الفسَّاق[3].

ويقول سيد قطب في معنى الجهاد: "إنَّ الإسلام يستخدم جميع الوسائل لإحداث انقلاب علمي شامل يستفيد منه البشر، ويسمى الجهد المبذول للوصول إلى هذه الغاية العظمى بـ "الجهاد"، الذي هو كلمة جامعة تشمل جميع أنواع السعي وبذل الجهد، كما أنَّ القضاء على نظم الحياة البالية،

(١) المعجم الوسيط، ص ١٢٢.

(٢) سورة البقرة الآية (١٩٣)

(٣) د. عبد الله مبروك النجار : من كتاب حقيقة الإسلام في عالم متغير ، مصدر سابق ص ١٦٩

وتأسيس نظام جديد مبني على قواعد العدل والإنصاف هو أيضاً من الجهاد، ويدخل في ذلك بذل الأموال وتحمُّل المشاق"[1].

إنَّ الجهاد غير الحرب، لأنَّ الحرب يمكن أنْ تنشب لأغراض شخصية ومطامع توسعية. كما أنَّ القتال المشروع في الإسلام ليس حرباً. مما يجدر ذكره أنَّ قوى التحرُّر التي حررت بلادها فيما مضى تقف الآن موقفاً صلباً ضد الاستعمار الأمريكي، وضد إسرائيل، وعندما عاد الصراع مرة أخرى في ثياب أمريكية، وقفت هذه القوى من جديد ضد السياسة الأمريكية[2].

لماذا فُرض الجهاد؟

إنَّ الله تعالى شاء القتال ليحق الحق ويبطل الباطل، ولما كانت ملة الكفر هي البادية دائماً بالقتال، فلا سبيل إلى رد اعتدائها إلاَّ بالقتال، ولا تزول الفتنة إلاَّ به، لذلك كان لا بُدَّ من رجال يذودون عن الحق، ويضحون من أجله لدرء الفساد وجلب الصلاح، ويؤدي هذا المعنى قول الله تعالى ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن ٩/١٤٤٧

(٢) محي الدين حسين القضماني : مصطلحات إسلامية ، المكتب الإسلامي ، ط/١ ،١٩٩٠ ، ص ٨٣ – ٨٥

﴿ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾[1]،

وقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

ولم يشرع الجهاد إلاَّ بسبب حاجة الإسلام إلى القوة لتحمي رسالته من عدوان المعتدين، وتمهد لها لتمتد، وتصل إلى كل مكان في الأرض. فسبب الجهاد هو نشر الدعوة، وآيات القتال في القرآن مرتبطة بالمحافظة على قوة الإسلام والمسلمين، وعلى حرية الدعوة إلى الله[3].

السلام هو الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم من الأمم

يجعل الإسلام السلام كأساس للعلاقة بين الأفراد، والجماعات، والدول، والحرب استثناء من ذلك، فهي ممنوعة إلاَّ لضرورة، كما منع الإسلام حرب

(١) سورة البقرة الآية ٤٠

(٢) سورة الحج الآية ٤٠

(٣) محمد حسين فضل الله: الإسلام ومنطق القوة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط/٣، ١٩٨٥م، ص ٢٠٧.

التوسُّع والسيادة، لقول الله تعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1] ومنع حرب الانتقام والعدوان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[2].

وقد ذهب جمهور العلماء من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، والإمام الثوري، إلى أنه لا يجوز قتال الكفار إلاَّ إذا كانوا هم البادئين بالقتال، أمَّا مجرد الكفر فليس سبباً لقتال، فإنْ هاجم الأعداء المسلمين أو قاتلوهم فيجب على المسلمين قتالهم لقول الله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا

(١) سورة القصص الآية ٨٣

(٢) سورة المائدة الآية ٢

وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[1].

ولا يكون الكفر سبباً في الجهاد إلاَّ بأمرين:

[١] إعلان الحرب على المسلمين.

[٢] وجود الظلم.

وعند تفصيل هذين الشرطين فإنَّه يمكن حصر مسوغات حرب الكفار في الآتي:

[أ] حالة الدفاع عن النفس: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[2].

[ب] حالة الدفاع عن المظلومين: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾[3].

[ج] حالة الدفاع عن حرية العقيدة: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ

(١) سورة الحج الآية ٣٩

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٠

(٣) سورة النساء الآية ٣٩

فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ (١).

[د] إنَّ الحرب ليست إلاَّ علاجاً لحالة لم تنفع معها الحكمة والموعظة الحسنة.

[هـ] إذا وقعت الحرب تصبح كالضرورة تقدر بقدرها دون بغي أو عدوان.

[و] ينبغي الإسراع إلى وقف الحرب إذا كفَّ العدو يده عن قتال المسلمين أو جنح أحد الجانبين إلى السلم ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ (٢)، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ (٣).

[ز] يعامل أسرى الحرب بالبر والإحسان إلى أنْ يطلق سراحهم، إمَّا بالمنِّ

(١) سورة الانفال الآية ٣٩

(٢) سورة الانفال ٦١

(٣) سورة الانفال الآية ١

وإمَّا بالفداء﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿١﴾ ﴾[1].

وحتى لو كان كف الأعداء عن قتال المسلمين نوعاً من الخدعة؛ فيجب التمسُّك به ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

ويمنع الإسلام أنْ يحاسب المسلمون الكفار على كفرهم في الدنيا؛ بل جعل ذلك من حق الله تعالى، فهو الذي يحاسب الناس ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٧﴾ ﴾[2].

إنَّ مؤرخي الغرب ومفكريهم يدّعون أنَّ الحركة الإسلامية تعد العدة للجهاد من غير حدود، وفي كل مكان، وهذا الفهم غير صحيح، لأنَّ أكثر الأمم التي أسلمت لم يحدث فيها قتال إلاَّ إذا اضطهد بلد مسلم أو انتهكت أعراض المسلمين فيه، كما حدث في أفغانستان، والبوسنة والهرسك، وكوسوفو، والشيشان، وفلسطين[3].

وحتى في حالة الخصومة بين الإسلام وأعدائه؛ فإنَّه يحافظ على أسباب الود

(١) سورة محمد الآية ١

(٢) سورة الأنعام الآية ١٠٧

(٣) جمعة أمين : قضية الارهاب مصدر سابق ص ١٠٢

في النفوس بنظافة السلوك، وعدالة المعاملة حتى يأتي اليوم الذي يقتنع فيه الخصوم بفضل الإسلام وسماحته ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[1].

إنَّ القوى المتربصة بالإسلام تصوره على أنَّه دين دموي ليس له من هم سوى القتال، وغرضها من ذلك:

[١] تنفير الناس من الإسلام كنظام حكم.

[٢] شغل الحركة الإسلامية بعضها ببعض لتتصارع فيما بينها حتى يصل الأمر إلى حد القتال والتكفير.

[٣] إعطاء المؤسسات المعادية للإسلام مسوغاً للنيل من العمل الإسلامي كله.

[٤] تيئيس الناس من الإسلام ومن دعاته والوصول إلى أنَّه لا فائدة من أي عمل إسلامي ما دامت نتيجته ضرب الإسلام من الخارج أو تآكله من

(١) سورة الممتحنة الآيات ٧- ٨

الداخل[1].

الإسلام دين التسامح والحرية

لأنَّه يوجب العدل، ويحرِّم الظلم، ويدعو إلى التعاون والتضحية، ولا يرغم أحداً على عقيدة معينة ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [2]، و﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [3]. فالإكراه على اعتناق أي دين يؤدي بصاحبه إلى ترك هذا الدين في أقرب فرصة، وإذا لم يتركه فقد يكون منافقاً تجاهه، ولا يضحي من أجله بالمال والنفس[4].

والإسلام هو دين التوازن والأخلاق ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا

(١) جمعة أمين ، مصدر سابق ص ١١٠ - ١١١

(٢) سورة البقرة ٢٥٦

(٣) سورة يونس الآية ٩٩

(٤) المصدر السابق نفسه ص ٣٦

لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ [1]، وهو دين الرحمة والمحبة والتعايش بين البشر، وهو لا يقر التعصُّب الديني، ويظهر تسامحه فيما نراه من كثرة عدد الأقليات الدينية من يهود ونصارى في بلاد الإسلام.

ويدّعي بعض الباحثين الغربيين أنَّ الإسلام انتشر بقوة السلاح، وأنَّ الفتوحات العربية الإسلامية كانت حروب توسُّع وعدوان، وهذا خطأ فادح، لأنَّ تلك الفتوحات لم يكن مقصوداً منها التوسُّع لإخضاع العالم بحد السيف، بل كانت تهدف إلى مساواة الشعوب كلها في ظل الإسلام، يضاف إلى ذلك أنَّ الإسلام لم ينتشر في البلاد المفتوحة إلاَّ بعد مضي عدة سنوات على تلك الفتوحات. وكانت أهم أسباب انتشاره: سماحته وتسامحه، ومخالطة المسلمين غيرهم من السكان، لذلك نرى أنَّ الإسلام منتشر اليوم في بلاد ليس

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣

للمسلمين عليها نفوذ أو سلطان[1].

ويلاحظ وجود عدد كبير من غير المسلمين في البلاد الإسلامية لم يتعرضوا لأي نوع من أنواع الاضطهاد بسبب عقيدتهم، كما يلاحظ وجود أكثريات إسلامية في المناطق التي لم تتأثر بالفتح الإسلامي إلاَّ بعد وقت طويل. فقد تقبل الناس الدعوة في هذه المناطق بصدر رحب، لأنَّ الدعوة انتشرت بالحكمة والموعظة الحسنة، وكانت تدعو إلى دين الفطرة[2].

لقد انتشر الإسلام من أواسط آسيا شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً حين عرف الناس محاسنه، ونعموا بعدالته. وقد اعترف بهذه المحاسن كثير من مؤرخي أوروبا وفلاسفتهم، من أمثال: توماس آدتولد الإنجليزي[3]، وجستاف لوبون الفرنسي[4]، وغيرهم.

أمَّا توماس آرنولد فقال عن تسامح الإسلام: "ومن أمثلة تسامح الإسلام أنَّ القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة، وأنَّ العرب المسيحيين الذين يعيشون في زمننا هذا بين جماعات مسلمة لدليل

(١) منير شفيق: الإسلام في معركة الحضارة، الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، بيروت، دار البرق للنشر، تونس، ط/١، ١٩٩١م، ص ٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٠.

(٣) مستشرق إنجليزي كتب عن تسامح الإسلام مع أعدائه ما لم يكتبه المسلمون أنفسهم، (١٨٦٤-١٩٣م).

(٤) مستشرق فرنسي أنصف العرب حين تكلم عن حضارتهم في كتابه: "حضارة العرب".

على هذا التسامح، وأنَّ كثيرين من قبيلة غسان، وهم من أشد القبائل أصالة في العروبة دخلوا المسيحية في نهاية القرن الرابع الميلادي تقريباً، ولا يزالون متمسكين بالدين المسيحي"[1].

ومن عباراته: "لا يعرف الإسلام من بين ما نزل به من خطوب وويلات خطباً أعنف من غزوات المغول، فلقد انسابت جيوش جنكيزخان، واكتسحت في طريقها العواصم الإسلامية، وقضت على ما كان بها من مدنية وحضارة، إلاَّ أنَّ الإسلام لم يلبث أنْ نهض من غفوته، واستطاع عن طريق دعاته أنْ يجذب أولئك الفاتحين ويجبرهم على اعتناقه"[2].

ويقول في مكان آخر: "ظهر أنَّ فكرة أنَّ السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق، وظهر أنَّ الدعوة والإقناع كانا الطابعين الرئيسين لحركة الدعوة"[3].

وتقول المستشرقة الإيطالية "لورا فيشيا فاغليري"[4] في أحد كتبها: "إنَّ الإسلام لا يبيح امتشاق الحسام إلاَّ دفاعاً عن النفس، ويحرم العدوان تحريماً

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن و"آخرين"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط/٣، ١٩٧٠م، ص ٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٨-٢٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٨.

(٤) أسلمت فيما بعد، وألَّفت كتباً كثيرة دفاعاً عن الإسلام.

قاطعاً، وينظر القرآن إلى الحرب بحسبانها حريقاً يجب أنْ يطفأ في أقرب فرصة"[1].

وتضيف في موضع آخر من كتابها "دفاع عن الإسلام": "لقد كانت الحرب عند المسلمين وسيلة لحماية الدين الجديد وتعظيمه، ولم تكن غاية في ذاتها، بل كانت دفاعاً ضرورياً لا عدواناً جائراً"[2].

وترى أنَّ القرآن عبَّر عن هذا المعنى حين قال: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾[3].

أمَّا جستاف لوبون فقد جاء عنه في تسامح الإسلام قوله: "وسيرى القارئ حين نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم أنَّ القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن فقد ترك العرب الفاتحون المغلوبين أحراراً في أديانهم، وقد أثبت التاريخ أنَّ الأديان لا تفرض بالقوة"[4].

لقد عرف الخلفاء الأوائل رضي الله عنهم كيف يحجمون عن حمل أحد بالقوة على ترك دينه، وعرفوا كذلك كيف يبتعدون عن إعمال السيف فيمن لم

(١) دفاع عن الإسلام، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط/٥، ١٩٨١م، ص ١١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٠

(٤) حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطابع عيسى الحلبي وشركاه ، ط / ٤ ، ص ١٢٧ .

يسلم[1].

ويلاحظ أنَّ الصليبيين عندما جاءوا إلى الشرق الإسلامي كان هدفهم محو الإسلام والقضاء عليه، وذلك حين ضعفت الخلافتان العباسية والفاطمية، ولكن ظهر عكس ما كان متوقعاً؛ فإذا بالإسلام يجذب إليه مجموعات من الصليبيين، دخلوا الإسلام وحاربوا مع المسلمين"[2].

وفي القرن السابع الهجري هجم المغول على العالم الإسلامي، وكان هجومهم قاسياً وحشياً، أزالوا به الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ، وأصبح لهم اليد العليا، ولكن سرعان ما جذبهم الإسلام إليه، مما يدل على أنَّ الإسلام لم ينتشر بين المغول بالقوة"[3].

إنَّ الإسلام هو دين الرحمة والرفق، ولا رحمة ولا رفق مع الإرهاب، لذلك لا يبيح الإسلام في ميادين القتال أنْ تقتل المرأة، ولا الطفل، ولا الشيخ الكبير، أو كل من لا يحمل السلاح، كما لا يبيح ترويع عابد في محرابه أو راهب في صومعته، ولا الإجهاز على الجريح، ولا التمثيل بجثة قتيل، كل ذلك اعترافاً بإنسانية الإنسان حتى لو كان ميتاً[4].

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ .

(٢) محمد حسين فضل الله : الإسلام ومنطق القوة ، مرجع سابق ص ٢١٢

(٣) المرجع نفسه، ص ٢١٣.

(٤) انظر: د. أحمد محمد الحوفي: سماحة الإسلام، مكتبة نهضة مصر، دون طبعة ودون تاريخ، ص ٦٥.

كيفية مواجهة الإرهاب

هناك بعض الأساليب والخطوات إذا اتبعت بإخلاص؛ فإنَّ من شأنها أنْ تحد من ظاهرة الإرهاب الموجه إلى الإسلام أو الموجه إلى العالم، منها:

[١] إنَّ الهجوم الفكري والعسكري ضد الإسلام لا يجوز السكوت عليه، كما لا يجوز أنْ يقف المسلمون عاجزين عن فعل أي شيء لمواجهة شراسة الولايات المتحدة الأمريكية وبقية الدول.

[٢] إنَّ إلصاق تهمة الإرهاب بالمسلمين فيه ظلم كبير، وقد يكون سبب هذه التهمة الكره والتعصُّب أو عدم فهم الغرب للإسلام أو عجز الإعلام في تحقيق التواصل بين علماء الغرب وعلماء المسلمين.

[٣] إنَّ الإسلام في حاجة شديدة إلى التعريف به وإلى إبراز وجهه الحضاري والإنساني وإظهار تعاليمه الواضحة لكل الناس وفي كل بلاد العالم وبكل اللُّغات، حتى يعرف الإسلام على حقيقته، فالمسلمون مقصرون في عرض الإسلام على الآخرين في أسلوب جذاب، كما أنَّ كثيرين ممن يتصدون لعرض الإسلام في الخارج ينفِّرون الناس منه، ويهتمون بأمور شكلية لا صلة لها بجوهر الإسلام، فهم بذلك يساعدون أعداء الإسلام على تشويه صورته.

[٤] إنَّ الإسلام هو دين رحمة، ومحبة، وتعايش، وتعاون مستمر، كما أنَّ جميع

الأديان هي في الأصل ليست مصدر شر أو عنف ومع ذلك فلا يُعَدُّ من يستخدم حقه المشروع في المقاومة لتخليص أرضه من احتلال أجنبي إرهابياً، كما لا ينبغي السماح لإسرائيل باستغلال الإرهاب للضغط على الفلسطينيين ومحاربتهم.

[٥] إذا أراد العالم السلام والاستقرار؛ فلا بُدَّ من تعاون الجميع في كل المجالات حتى تتحقق للبشر حياة حرة كريمة، ولا بُدَّ من حوار موضوعي بين الأديان بصفة عامة، وبين الإسلام والنصرانية بصفة خاصة، وينبغي اطلاع غير المسلمين على حقيقة الجهاد حتى لا يقع الخلط بينه وبين الإرهاب، لأنَّ الإرهاب لم يكن في يوم من الأيام صناعة إسلامية، فهو والإسلام ضدان لا يجتمعان.

[٦] لقد عقدت الجامعة العربية في هذا الصدد اتفاقية لمكافحة الإرهاب بجميع أشكاله، وفرَّقت الجامعة بين المقاومة المشروعة لتحرير الأرض من الاحتلال والظلم وبين الإرهاب.

[٧] لا بُدَّ من رفض الإرهاب وإدانته في جميع أشكاله إلاَّ إذا كان لتحرير الأرض، كما يجب عدم الربط بين الإرهاب وبين أي دين أو عرق.

[٨] إنَّ الحل الأمثل لمكافحة الإرهاب هو أنْ تتجه الأمم المحبة للسلام إلى مكافحة الظلم ومحاربته بدلاً من مكافحة الإرهاب، لأنَّ الإرهاب قد يكون عادلاً مشروعاً، وقد يكون ظالماً، فالظلم واضح لا غموض فيه، بينما لا يزال مفهوم الإرهاب غامضاً ودوافعه متعددة.

[٩] إنَّ الإرهاب قد يكون محموداً إذا كان عـادلاً وقُصِـدَ منـه رفـع الظلـم واسترداد الحق بشرط أنْ يكون محدوداً في الزمان والمكان، وأنْ يحافظ معـه علـى أرواح المدنيين، وأمنهم، وممتلكاتهم، فإنْ لم يكن للإرهاب قضية عادلة أو تجـاوز حدوده أو أصاب أناساً لا ذنب لهم كان مذموماً ووجب مكافحته.